الصراع الإسلامي النصراني في الحبشة وموقف القوى الدولية "حلقة من حلقات الحروب الصليبية" ق 7هـ-10هـ/13م -16م

The Islamic-Christian conflict in Abyssinia and the position of international powers "One of the Episodes of the Crusades" BC 7AH-10AH / 13AD-16AD

محمد جاب الله على

مدرس التاريخ الإسلامي

gabala_ma@cu.edu.eg

تاريخ الاستلام: 9 /2020/4 م **تاريخ النشر : 25 /2021/5**

ملخص:

يتناول هذا البحث قضية من أهم قضايا العصور الوسطى، إلا وهي "حركة الحروب الصليبية". غير أن هذا التناول جاء في منطقة بعيدة كل البعد عن المنطقة التاريخية التي شهدت تلك الحرب، وهذه المنطقة هي "هضبة الحبشة". إذ شهدت تلك المنطقة حربًا مريرة بين مملكة الحبشة النصرانية من جانب، والممالك الإسلامية التي قامت على أطرافها الشرقية والجنوبية من جانب أخر. هذا وقد اتسمت تلك الحروب بسمة الحروب الصليبية التي شهدتها بلاد الشام، غير أنها لم تنتهي بنصر حاسم لأحد الطرفين إلا بعد تدخل القوى الدولية في ذلك الصراع المرير الذي امتد ليشغل فترة زمنية طويلة شارفت على اعتاب العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية:

الحبشة-ممالك الزيلع، الحروب الصليبية، أحمد بن إبراهيم جران، لبنا دنجل

Keywords

This research deals with one of the most important issues of the, except it is the "Crusades Movement". However, this approach came in an area far removed from the historical area that witnessed that war, this area is the Abyssinia plateau. This region witnessed a bitter war between the Christian Kingdom of Abyssinia on the part of, Islamic kingdoms erected on the eastern and southern sides of the other. These wars were characterized by the Crusades in the Levant. However, it did not end with a decisive victory for either party until the intervention of international powers in this bitter conflict that spanned a long period, it was on the threshold of modern era.

Keywords: Abyssinia - kingdoms of zilal, crusades, Ahmed bin Ibrahim Jaran, Lebna-Dengel

مقدمة:

كان لموجة العنف والصراع التي شهدتها هضبة الحبشة خلال العصر الوسيط أثر كبير في ترتيب الأوضاع في المنطقة مع مطلع العصر الحديث، كما تركت تلك الموجة من العنف أثارها على مجتمع المنطقة، وإن كان لهذا الصراع من جوانب مضيئة فهى تتمثل في انتشار الإسلام على نطاق واسع بين القبائل الصومالية التي انخرطت من فورها في خضم الحرب الدائرة بين مملكة الحبشة النصرانية، والقوى الإسلامية على الأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية لهضبة الحبشة.

وفضلًا عن ذلك فقد نجح المسلمون في مد نفوذهم ووجودهم الفعلي وللمرة الأولى في قلب هضبة الحبشة تلك القلعة الحصينة التي استمرت لألف عام قبل ذلك التاريخ لم يتمكن أحد من غزوها. وما ترتب على ذلك من تعدد الثقافات والديانات في الهضبة الحبشية التي ظلت مغلقة على النصرانية منذ القرن الرابع الميلادي.

وفيما غير ذلك كان لهذا الصراع العنيف الممتد الجذور أثار سلبية كثيرة على الصعيدين الاقتصادى والاجتماعى في المنطقة. كما كان له انعكاس كبير على المحيط الإقليمى، وكذلك على المستوى الدولى، الأمر الذى أدى في النهاية إلى تدخل العديد من الأطراف في هذا الصراع. ويمكن حصر تلك التدخلات في نمطين، أولهما التدخل الدبلوماسى، وثانيهما التدخل العسكرى. الأمر الذى انتهى بتغير توازنات القوى في المحيط الهندى والبحر الأحمر على نحو ما سنعرضه في تفاصيل البحث.

كان ختام هذا الصراع الممتد بين القوى الإسلامية ومملكة الحبشة النصرانية مع مطلع القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى ان سقطت سلطنة أوفات أقوى السلطنات الإسلامية بمقتل سلطانها سعد الدين الثانى في زيلع عام 805هـ/1402م، كما لاذا أولاده وبالفرار إلى بلاد اليمن([1])، وكان من نتيجة ذلك أن ضعف المسلمون في بلاد الزيلع وتسلط عليهم نصارى الحبشة طيلة عشرين سنه أثخنوا خلالها في المسلمين قتلًا واسترقاقًا(2).

أولًا- القوى السياسية في هضبة الحبشة والسهول الساحلية المحيطة بها

1- المملكة السليمانية

أما بالنسبة للحبشة فقد ظلت الأسرة السليمانية على حالها تسيطر على مقاليد السلطة بمساعدة رجال الكنيسة، وبل وازدادت قوتهم بعد القضاء على المقاومة الإسلامية التي قادها أمراء أوفات. ولكسب المزيد من تأييد رجال الدين خاضوا غمار حرب توسعية على حساب الأراضي الوثنية وأجزاء من الأراضي الإسلامية، ولم يأت القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلا وأصبحت مملكة الحبشة النصرانية تطل على البحر الأحمر قبالة جزر دهلك(3). وبعد فترة توقف لم تطول

تجدد الصراع بين القوى الإسلامية من جانب ومملكة الحبشة النصرانية من جانب آخر، واستمر ذلك الصراع متأججًا، وبلغ ذروته خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. ذلك الطور الذى التزم فيه الأحباش بالدفاع دون الهجوم لضعف قوتهم في مواجهة القوات الإسلامية المتطلعة لفتح كامل أراضي الهضبة الحبشية(4).

2- سلطنة عَدَل الإسلامية.

توقف الصراع لفترة من الوقت بعد سقوط سلطنة أوفات وفرار أبناء سعد الدين إلى اليمن طلبًا للمساعدة. كما أن ملك الحبشة كان قد أحكم سيطرته على بلاد المسلمين، واستمر ذلك الوضع لفترة طويلة، إلى أن عاد الصراع من جديد مع قيام سلطنة عدل في أقصى الجنوب الشرقي من هضبة الحبشة.

وكانت **سلطنة عَدل**(805-923هـ/1402-1540م) هى آخر سلطنات الطراز الإسلامية التي حملت لواء الجهاد ضد مملكة الحبشة النصرانية، وقد كانت في البداية ضمن أقاليم سلطنة أوفات(5)، وذلك حتى عام 805هـ/1402م، فلما سقطت أوفات قامت بدلا منها عدل. وكانت سلطنة عدل أقل في حدودها من سلطنة أوفات، فقد كانت تمثل فقط الجزء الجنوبي الشرقي من سلطنة أوفات، وعاصمتها هى مدينة دگّر(6) على أطراف بلاد الصومال أختارها أبناء سعد الدين ليكونوا بعيدين عن أيدى ملوك الحبشة(7)، وجعلوا منها قاعدة انطلقوا منها لبسط نفوذهم على المناطق التي كانت تابعة من قبل لسلطنة أوفات(8).

ثانيًا- تجدد الصراع في هضبة الحبشة بين سلطنة عدل الإسلامية ومملكة الحبشة النصرانية.

تجدد الصراع بين الطرفين، وقاد أبناء سعد الدين عقب عودتهم من اليمن انتفاضة كبير ضد مملكة الحبشة النصرانية، وحققوا خلالها عدة انتصارات، ولكنّ تلك الجهود لم تكلل بنصر حاسم ضد ملوك الحبشة، وتمكن السلطان صبر الدين(818-825هـ/1415-1421) في البداية من تحقيق عدة انتصارات اتبع فيها أسلوب حرب العصابات؛ وذلك حتى تكتمل قوة جيش المسلمين، ولشغل ملك الحبشة عن التمركز في بر سعد الدين واتخاذ قواعد ثابتة(9).

وعلى الجانب الآخر كان قد وصل إلى سدة الحكم الملك إسحاق(yeshaq)(817-834هـ/1414-1430م) الملقب بعبد الصليب، وكان من أكثر ملوك الحبشة كرهًا للإسلام حتى أنه أعلن منذ بداية حكمه أنه لا ينبغي أن يبقى في الحبشة مسلم(10)، وقد تمكن ملك الحبشة في النهاية من قتل السلطان صبر الدين عام825هـ/1421م(11)، كما تمكن بعد ذلك بسنوات قليلة من أسر السلطان منصور وأخية الأمير محمد عام 828هـ/1424م(12)، وقد مات كلاهما في نفس العام وهما بسجن ملك الحبشة(13).

وانعكس صدي تلك الانتصارات في مجموعة من الأغاني وضعت تمجيدًا لانتصارات الملك إسحق على المسلمين(14)، وعلى الجانب الآخر كان السلطان منصور قد نجح في نقل أفراد عائلته إلى ميناء المخا في اليمن(15).

وترتب على ذلك أن دخلت سلطنة عدل في طور من الفوضى؛ وذلك نتيجة لثورة بعض الرعية ضد السلطان جمال الدين(828-835هـ/1424-1431م)، الأمر الذي دفعه لمحاربتهم بدلًا من التفرغ لمحاربة ملك الحبشة، ولكنه في النهاية تمكن من إعادة السيطرة على الوضع داخل السلطنة، وبعدها تفرغ لمجاهدة الأحباش، فحقق العديد من الانتصارات، وبلغ من كثرة ما غنمه أن امتلأت أسواق اليمن والهند والحجاز ومصر وغيرها برقيق الحبشة(16). هذا بخلاف من أسلموا على أيدى سلاطين عدل ومن سمح لهم بالعودة إلى ديارهم وعيالهم(17)، وسكتت المصادر عن أسباب ترك هؤلاء ليعودوا إلى بلادهم، ويرى الباحث أن هؤلاء لم يعودوا إلى بلادهم إلا بعد أن تخلوا عن عدة حربهم من خيول وسيوف وغيرها حتى لا يعاودوا مهاجمة المسلمين من جديد.

ورغم ما حققه السلطان جمال الدين من انتصارات إلا أن الأمر انتهى بهزيمته، وكان لتلك الهزيمة عاملان. **الأول** هو توغل السلطان جمال الدين في بلاد الحبشة لمسافة كبيرة بلغت مسيرة عشرين يومًا، فأصبح بعيدًا عن مراكز الأمداد، كما مهد ذلك الطريق أمام الأحباش للالتفاف من خلفه محاولين غزو بلاده، الأمر الذي دفعه للعودة قاطعًا مسيرة عشرين يومًا في سبعة أيام، فلم يتمكن من تحقيق انتصار حاسم ضد الأحباش(18). أما **العامل الثانى** فهو الحقد والحسد، والجهالة في نفس الوقت من جانب أبناء عمومته الذي ثاروا ضده وقتلوه عام 835هـ/1432م(19)، وهو في ذروة انتصاره غير مبالين بمصير المسلمين في بلاد الزيلع إذ ما تحكم فيهم ملك الحبشة، والراجح أنهم كانوا على اتصال بملك الحبشة زرء يعقوب، وهو من أغراهم بفعل ما فعلوه(20).

وكان الملك زرء يعقوب (Zara-Yaqob) من أكثر ملوك الحبشة كراهيته للإسلام والمسلمين، ولذا فقد فأمر بالقضاء على كل ما هو غير مسيحي في الحبشة، وأرغم الجميع على اعتناق النصرانية، مما يوضح تأثير الدين القوى في سياسته. ولتحقيق أهدافه أنشأ في الحبشة ما يشبه محاكم التفتيش؛ فعين موظف خاص مهمته تتبع غير المسيحيين والتبليغ عنهم وتقديمهم للمحاكمة، واعتقد الملك أن هذا سيساعد على خلق الحبشة القوية الموحدة(21)، ولكى يتأكد من تحقيق أهدافه أمر أن يضع كل شخص عصابه على رأسه يعلن من خلالها أنه تابع للأب والابن والروح القدس، وأن يكتب على زراعيه عبارات تشير إلى أنه خادم للسيدة مريم العذراء أم خالق العالم، كما أمر بألا يختلط المشركون من المسلمين والوثنيين ببقية أفراد الشعب(22)، وكتب إلى جميع نوابه بمصادرة ممتلكات من لا يلتزم بتلك القرارات، وأن ينفذ فيه حكم الإعدام(23).

وبلغ من اضطهاد هذا الملك للمسلمين وسطوته عليهم أنه فرض عليهم أن ينصروا له إحدى بناتهم، وأن تحمل إليه كل عام، فكانوا يرسلونها إليه بعد أن تغسل وتكفن ويصلى عليها على اعتبار أنها ماتت بخروجها من دين الإسلام، وهم يفعلون ذلك خوفًا من عدوانه على بلاد المسلمين وحرقه

لمساجدهم وهدمها(24). بل بالغ في إذلالهم فحُكم عليهم ألا يلبسوا عدة الحرب، ولا يمسكوا سيف، ولا يركبوا خيولهم مسرجة، كما دخل بعضهم في خدمة ملك الحبشة، حتى أن بعضهم انتحل ديانة ملك الحبشة تقربًا إليه(25).

وكانت المحصلة النهائية لسساسة ملك الحبشة أن تمكن من تحقيق انتصارات عدة في حروبه ضد سلطنة عدل الإسلامية؛ إذ شهدت تلك الحرب أشد مراحل التعصب الديني، وظهر ذلك جليًا من عنف المعارك وحرق وهدم الكنائس والمساجد، وأسر واسترقاق الآلاف من الجانبين، ثم ظهر ذلك التعصب بوضوح فيما فعله زرء يعقوب بالسلطان شهاب الدين أحمد بدلاي(835-848هـ/1431-1444م) عندما ظفر به؛ إذ أمر بقتله وأن يقطع جسده ويوزع على مختلف المقاطعات حتى لا يتجرا أحد على الخروج عن طاعته(26).

وقد صور زرء يعقوب نفسه المدافع الأول عن العقيدة النصرانية في بلاده ضد السيطرة الإسلامية، وقد وصلت أخبار انتصاراته إلى أوروبا التي كانت متلهفة في ذلك الوقت للوصول إلى برستر جون(Prester John) الملك المسيحي الأسطوري الذي أخبرت عنه الكثير من رسائل الرحالة والمغامرين الأوروبيين دون أن يحددوا مكانه على وجه الدقة(27).

وبعد أن لفت زرء يعقوب انتباه العالم المسيحي إليه اتبع سياسة جديدة لمواجهة القوي الإسلامية تقوم على ضرب بعضها ببعض، والتحالف مع بعضها ضد البعض الآخر، وكان من ثمار تلك السياسة بالنسبة إليه استشهاد السلطان شهاب الدين بسبب تخلى سلطان هدية عنه بعد أن أظهر له الولاء تمهيدًا لغزو ومجاهدة الأحباش داخل أراضيهم، ولم يكتف بتخليه عن شهاب الدين، وإنما انضم إلى ملك الحبشة وقاتل ضد إخوانه المسلمين(28).

وظهرت خلال تلك الحرب النوايا الحقيقية لملوك الحبشة، إذ حاول الملك زرء يعقوب استغلال الصراعات الداخلية بين المسلمين لتحقيق أهداف الحبشة الاقتصادية من السيطرة على طرق التجارة ومحاولة الوصول للبحر الأحمر، وتحقق للحبشة هذا الهدف لأول مرة خلال عهد الملكين زرء يعقوب وولده بئيد مريام (Bada-Maryam)(873-883هـ/1468-1478م) من بعده في منطقة مصوع(29). دفعت تلك الإجراءات التي اتخذها زرء يعقوب البعض إلى اعتبار نجاحاته العسكرية وامتداد حدود المملكة في عهده استندت بالأساس على تلك الدعاية الدينية التي أطلقها منذ بداية عهده(30).

ولكن على الرغم من ذلك، ورغم الإجراءات الصارمة التي اتخذها زرء يعقوب إلا أنه لم يتمكن من تحقيق هدفه في خلق الحبشة القوية الموحدة؛ إذ شهدت الحبشة في عهد ولده بئيد مريام الكثير من الصراعات والثورات الداخلية حتى أن الملك الذي بدأ عهده بالعفو عن جميع السجناء الذين سجنهم والده، كما سمح للمنفيين بالعودة إلى ديارهم(31) قضى جل فترة حكمه وهو يحاول القضاء على تلك الثورات، والحد من نفوذ الأمراء وحكام المقاطعات(32). ولكن الملك زرء يعقوب بفضل ما

اتخذه من إجراءات ضد الوثنيين والمسلمين، وكذلك النصارى المخالفين لمذهب كنيسة الحبشة أصبح في نظر الأحباش أحد أبطال كنيستهم(33)، وصاروا يطلقون عليه اسم سليمان الثاني(34).

يعد الملك زرء يعقوب أحد أهم ملوك الحبشة الذين وظفوا الدين في صراع الحبشة ضد القوي الإسلامية؛ نظرًا لكونه مقربًا إلى رجال الدين، وكتب هو بنفسه أو كان سببًا في كتابة بعض الكتب الأساسية عن الإيمان الأرثوذكسي لكنيسة الحبشة، كما كان راعيًا ومحبًا للأدب الذي كان في مجمله كنسيًا(35) الأمر الذي منح الكنيسة في عهده سلطات واسعة، ومن خلال ما توافر لها من الثروة والسلطة أصبحت هي صاحبة القرار السياسي الحاسم، والأداة الفاعلة لكبح جماح الخصوم العقائديين؛ فالكنيسة تقوم بدور فاعل في أوساط العامة لتعبئة شعور الحقد والكراهية نحو كل ما هو غير مسيحي، وبخاصة إسلامي، وتحث على ضرورة التصدي للمسلمين ومقاومتهم(36).

أقدم الملك زرء يعقوب في توظيفه للدين لخدمة حروبه ضد المسلمين على خطوة لم يسبقه إليها غيره من ملوك الحبشة؛ وذلك عندما حاول فصم العلاقة بين كنيسة الحبشة وكنيسة الإسكندرية، وربط كنيسة الحبشة بكنيسة روما(37)، استجلابًا لمساعدة القوى الأوروبية له ومساندة البابا في روما، في مواجهة القوي الإسلامية في الحبشة، وهي خطوة تخالف تمامًا طبيعة زرء يعقوب نفسه، بل تخالف طبيعة الأحباش عمومًا الذين يعتبرون أن الحبشة هي صاحبة العقيدة النصرانية الصحيحة، وعلى العالم أجمع أن يتبعها في عقيدتها(38).

ورغم إقدام الملك زرء يعقوب على تلك الخطوة إلا أن بطريرك كنيسة الإسكندرية قد وافقه في هذا الأمر، وأرسل بعثة من مصر برئاسة أحد رجال الدين المصريين لمساندة الراهبين اللذين أرسلهما ملك الحبشة من دير الأحباش في القدس لحضور مجمع فلورنسا عام (849هـ/1445م)(39)، إذ أن بقاء النصرانية في الحبشة بغض النظر عن العلاقة بين كنائسها أفضل من أن تُستأصل شأفة النصرانية تمامًا من الحبشة(40).

لم يشهد الصراع تطورًا يذكر بعد موت زرء يعقوب، غير أن حدة ذلك الصراع أخذت تنكسر لأسباب عدة. أما بالنسبة لمملكة الحبشة فهناك سببان **الأول** هو أن الملك بئيد مريام كان قد تعرض لهزيمة كبيرة عام 879هـ/1474م دفعته إلى عدم تكرار محاولة إخضاع سلطنة عَدلَ الإسلامية(41)، وحاول خلال السنوات الأربع الأخيرة من حكمه الاهتمام بالجوانب الدينية في الحبشة بعد أن استنزفت الحروب السنوات الست الأولى من فترة حكمه، فاهتم ببناء الكنائس في مختلف أنحاء المملكة، وكذلك اهتم بإحياء الاحتفالات الدينية خاص تلك الاحتفالات الخاصة بالسيد المسيح والسيد مريم العذراء(42).

وأما السبب **الثاني** وهو الأكثر سوءًا بالنسبة لمملكة الحبشة؛ أن كنيستها ابتليت بنزعة الانقسامات اللاهوتية حول طبيعة السيد المسيح، الأمر الذي شغل رجال الدين وما كان لهم من دور في حرب الحبشة ضد المسلمين لمواجهة تيار الانقسام داخل الكنيسة(43).

وعلى الصعيد الإسلامي فقد تنامي تيار من السخط ضد البيت الحاكم سرعان ما تحول بمرور الوقت إلى سخط سياسي وديني سببه الانقسام حول الصراع الإسلامي المسيحي ما بين الداعين إلى التعايش السلمي مع مملكة الحبشة، ويمثله السلاطين الذين خضعوا لملوك الحبشة وتخلوا عن فكرة الجهاد، والمتحمسين لمواصلة الجهاد ضدها، ويمثله جماعة من الأئمة والفقهاء، وقد استثمروا مكانتهم السامية في نفوس الناس فأثاروا حميتهم نحو مواصلة الجهاد ضد مملكة الحبشة النصرانية(44)، وقد ترتب على ذلك الوضع صراع شديد بين الجهتين شهد في فترات منه اقتتال بين المسلمين وبعضهم البعض(45).

ورغم الظروف التي مر بها الطرفان إلا أن الصراع تجدد بينهما على عهد الملك الحبشي ناؤود، وكانت الحرب سجالًا بين الطرفين، غير أن الملك ناؤود اتبع سياسة جديدة ضد المسلمين تقوم على إجبارهم عند هزيمتهم ووقوع بعضهم في الأسر على اعتناق النصرانية. اتبع الملك تلك السياسة ضد القواد والأمراء، إذ كان يُغْرِيهم في ذلك بإبقائهم في مناصبهم، ومثال ذلك ما فعله مع حاكم بالي(Bali)(46)، إذ أجبره على أن يتنصر على أن يظل حاكمًا على بالي كنائب عن ملك الحبشة، وحاول ملك الحبشة تكرار نفس السياسة مع نحو ستين من الجنود المسلمين الذين وقعوا في الأسر خلال المعارك التي دارت بين الطرفين(47).

برزت تلك الظاهرة على نحو واسع فيما كتبه عرب فقيه حول سيرة الأمام أحمد وجهاده ضد مملكة الحبشة النصرانية، كما رصد أن ملوك الحبشة كما نجحوا في إجبار أو إغراء البعض على هذا الأمر فشلوا مع قواد وأمراء أخرين وقعوا في الأسر وظلوا على دينهم إلى أن فك الله أسرهم(48)، كما أن من تنصر من الأمراء والقواد وألزمهم ملوك الحبشة بمحاربة المسلمين عاد معظمهم إلى الإسلام بعد ذلك(49).

ثالثًا-الموقف الإقليمى من الصراع في هضبة الحبشة موقف مصر واليمن.

شكلت أخبار هذه الاعتداءات عبئاً جديداً على كاهل سلاطين المماليك فوق ما كانوا يلاقونه من آثار الحروب الصليبية، وعلى الرغم من ذلك تفاعل سلاطين المماليك في مصر مع ذلك الصراع، حيث فرضت الظروف التاريخية التي شهدها العالم منذ منتصف القرن الثامن الهجري/الثالث عشر الميلادي أن تقوم مصر بدور القوة الإسلامية الأكبر التي تصدت للدفاع عن العالم الإسلامي ضد الهجمة الصليبية الشرسة[50].

وقد قّدر حكام مصر تلك المسئولية التي أصبحت ملقاة على عاتقهم فكان مسلمو الزيلع موضع اهتمامهم بعد أن ثبتوا أقدامهم في حكم مصر[51]. كما أدرك مسلمو الزيلع أنفسهم ذلك الاهتمام؛ فسعوا للاتصال بسلاطين المماليك[52]، الذين استخدموا من جانبهم كل الوسائل المتاحة للضغط على ملوك الحبشة لكف الأذى عن المسلمين هناك[53].

ومع استمرار الصراع في هضبة الحبشة في عصر دولة المماليك البرجية فإن سلاطين المماليك لم يقل دورهم في محاولة تخفيف الضغط عن إخوانهم في الحبشة عن دور سابقيهم من سلاطين

المماليك الجراكسة. ففي عهد السلطان المؤيد شيخ (815-824هـ/1405-1421م) وقع اعتداءات كبيرة من جانب ملوك الحبشة بحق مسلمى الزيلع، فقام السلطان باستدعاء البطريرك في حضور القضاة ومشايخ العلم فأوقفه على قدميه ووبخه وأنكر عليه ما حدث للمسلمين في بلاد الحبشة حيث شن عليهم ملك الحبشة ثيودور الأول بن داود (814-817هـ/1411-1414م) حربا طاحنة راح ضحيتها الكثير من المسلمين[54]. ومع تطور الحرب ضد المسلمين اتخذ بعض الإجراءات ضد المسيحيين في مصر والشام رداً على ما قام به الملك إسحاق بن داود طوال فترة حكمه (817-833هـ/ 1414-1429م) من هجوم عنيف ضد المسلمين في بلاد الزيلع حتى أن المصادر تصفه بالطاغية[55].

وبلغ من اهتمام سلاطين المماليك بأمر مسلمى الزيلع أن توترت العلاقات بين السلطان الأشرف برسباى (825-841/1422-1437م) وملك الحبشة إسحاق بن داوود نتيجة لحربه التي شنها ضد الإمارات الإسلامية[56].

وكانت رسالة السلطان جقمق(842-857هـ/1438-1453م) لابن سعد الدين قائلا فيها: " إنا نكرم من عندنا من النصارى رعاية لكم وخوفا على مملكتكم لقلة عدد المسلمين هناك وكثرة القائمين من أعدائكم " دليلًا واضحًا على أهتمام سلاطين المماليك بمسلمى الزيلع، وكم كان رد بن سعد الدين حكيما حيث قال لسلطان مصر: " لا تتكلفوا لذلك وافعلوا ما أُمرتم به من عز الدين وذل من للكفر سالك، فحزب الله هو المنصور وحزب أعدائه كل منا به مأمور"[57].

والراجح أن الاتصالات بين مسلمى الزيلع والسلطات المملوكية في مصر كانت بداية للتعاون بين الطرفين؛ وذلك للعمل في مواجهة التهديدات الحبشية التي لا تقل خطورة عن التهديدات الصليبية في بلاد الشام[58]. وكان من بين ما قام به المماليك من أجل الضغط على مملكة الحبشة لصالح مسلمى الزيلع غزو بلاد النوبة، فهذا الغزو بقدر ما كان مهماً لخدمة المصالح الاقتصادية للمماليك في مصر إلا أنه مثَّل ضغطاً على الحبشة لصالح مسلمى الزيلع، ولقد قامت من مصر ثلاث حملات قصدت النوبة[59].

ولكن هذه الحملات لم تكن لصالح مسلمى الزيلع فحسب وإنما كانت ردا على تحالف حكام النوبة مع حكام الحبشة ومهاجمتهم الحدود المصرية الجنوبية لخدمة الحركة الصليبية في السواحل الشمالية لمصر[60]، وفي نفس الوقت لا نستطيع أن نقول أن تدخل سلاطين المماليك لصالح مسلمى الزيلع كان حاسما فلم يكن المماليك في مصر قادرين على التدخل المباشر لصالح المسلمين في الحبشة[61]، وذلك لعدة أسباب هى:

اولا: الأحداث التي كانت تجرى في أماكن ومناطق أخرى غير منطقة شرق أفريقيا وهذه المناطق أخذت قسطاً كبيراً من جهد المماليك واهتمامهم كما أن موقع الحبشة الجغرافي جعل ملوك الحبشة بعيدين عن متناول أيدى سلاطين المماليك[62].

ثانيا: الاضطرابات التي كانت تسود الحياة السياسية في دولة المماليك.

ثالثا: كثرة السفارات والرسائل التي أرسلها ملوك الحبشة الى سلاطين المماليك في مصر والتي كانوا يزعمون فيها رعايتهم للمسلمين في بلادهم[63]، ومن أمثلة ذلك كتاب الملك داوود بن سيف أرعد الى السلطان برقوق سنة 784هـ/1382م يخبره فيه أن الأخبار التي تصل إلى مصر عن اضطهاد ملوك الحبشة للمسلمين هناك أخبار كاذبة ينقلها أنُاس أصحاب أغراض وأهواء كاذبة، ويؤكد أن المسلمين في بلاد الحبشة في حالة طيبة ولهم مطلق الحرية والكسب لا ترهقهم ضريبة أو مكس[64].

غير أن تلك السفارات والمراسلات لم تكن سوى تمويه وتعتيم على ما يحدث للمسلمين في بلاد الزيلع والحبشة على أيدى ملوك الحبشة[65]، وعلى الجانب الآخر لم يكن أمام سلاطين المماليك إلا استخدام الطرق الدبلوماسية لرفع الأذى عن المسلمين هناك، ولكنهم في نفس الوقت اتخذوا من بطريرك الإسكندرية ورقة ضغط كانوا يلجأون إليها كلما اشتد أذى ملوك الحبشة بالمسلمين في بلاد الزيلع[66].

ولم يكن دور **اليمن** في ذلك الوقت بأقل من دور مصر في متابعة أحوال مسلمى الزيلع وصراعهم مع ملوك الحبشة. فاليمن هي أقرب الأراضي الإسلامية إلى بلاد الزيلع، إذ لا يفصل بينهما سوىالبحر الأحمر في أضيق أجزئه، ولذا عندما استشهد الأمير سعد الدين سنة 805هـ/1401م فر أولاده العشرة إلى اليمن(67)، فأكرمهم ملكها الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل وجهزهم لاستئناف الجهاد وحماية المسلمين في بلاد الحبشة من اعتداءات ملك الحبشة(68).

ويورد العينى ما يؤكد أن سلاطين اليمن كانوا على علاقات مباشرة بمسلمى الزيلع، وكانت ترد إليهم الرسائل التي تطلعهم على أحوال الحبشة(69). كما تورد المصادر المشاورات بين سلاطين مصر واليمن فيما يخص مسلمى الزيلع إذ كانت رسائل سلاطين اليمن أحد الوسائل المهمة التي أطلع من خلالها سلاطين مصر على أحوال المسلمين في الحبشة(70)، فيذكر ابن عبد الظاهر في حوادث سنة 683هـ/1284م قدوم رسل اليمن ومقابلتهم السلطان المنصور قلاوون(679-741هـ/1280-1340)، وأنهم عرضوا عليه شأن ملك الحبشة مع أمراء المسلمين، وكيف أخذ بلادهم، وتشاوروا يقدمونه من معونة دائمة لنجدة المسلمين هناك(71).

ظلت اليمن تلعب هذا الدور حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي خلال حركة الفتوحات الكبرى التي قادها الأئمة من هرر. كانت اليمن هي المعبر الرئيس للمتطوعة العرب الذين شاركوا في فتوحات الإمام أحمد في قلب الهضبة الحبشية، وعبر اليمن أرسل الحاكم العثمانى المقيم في زبيد بالتعاون مع شريف مكة مساعدات كبيرة للمجاهدين لمواجهة القوة البرتغالية التي استقدمها ملك الحبشة للتصدى للقوات الإسلامية، وبفضل تلك المساعدات تمكن المجاهدون من تحقيق الانتصار على تلك القوات وقتل قائدهم وعدد كبير من جنوده في حين لاذا من بقي منهم بالفرار(72).

رابعًا- ظهور الإمام أحمد بن إبراهيم "تطور الصراع والتدخلات الدولية".

تجدد الصراع بين الطرفين بعد فترة من انشغال كل طرف بأوضاعه الداخلية، وتمكن ملك الحبشة لبنا دنجل(Lebna-Dengel)(914-947هـ/1508-1540م) من تحقيق بعض الانتصارات في بداية الصراع، وذلك بفضل مساندة رجال الدين، ومشاركتهم له وبأعداد كبيرة في حروبه ضد مسلمي الزيلع(73)، ولعل مرجع تلك الانتصارات التي حققها لبنا دنجل في بداية حكمة ترجع إلى انقسام الجبهة الداخلية للمسلمين، ففي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ذهبت زوجة سلطان هدية بنفسها إلى الملك لبنا دنجل محملة بالهدايا لتطلب مساعدته لسحق الثورة التي قامت ضد زوجها(74)، الأمر نفسه فعله السلطان أبو بكر بن محمد بن آزر(924-933هـ/1518-1526م) سلطان أوفات حين طلب المساعدة من الملك لبنا دنجل لتحطيم قوة الأمام أحمد بن إبراهيم الذى رفض الخضوع لسلطاته(75).

تدخل العلماء في خضم هذا الصراع بين السلطان أبو بكر والإمام أحمد للإصلاح بينهما، ونجح سعيهم على أن يبقى السلطان سلطانًا على حاله وعلى الإمام طاعته والولاء له، فوافق الإمام حقنًا للدماء، ورغم ذلك فقد كانت كفت الإمام أحمد هي الأرجح على المستوى الشعبي(76). تفرغ الإمام بعدها لإصلاح البلاد والقضاء على قطاع الطريق، وقرب منه العلماء والفقهاء والمشايخ، وبلغ من حسن سياسته أن التفت حوله الرعية، فبدأ يعد العدة لاستئناف الجهاد، فرتب الألات والسيوف والخيول ونهض غازيًا إلى بلاد الحبشة(77).

وكان من نتيجة السلام الذى حل بين السلطان والإمام أن نجح الأخير في تحقيق انتصارات حاسمة ضد الأحباش، وتمكن خلال الفترة من 935-950هـ/1528-1543م من السيطرة على جل مساحة الحبشة(78) سوى بعض الحصون والتلال التي تحصن بها ملك الحبشة ومن تبقى من رجال جيشه(79). وكان من نتائج ذلك أيضًا أن بدأت القبائل الصومالية التي كانت تراقب الوضع عن كثب منذ فترة طويلة تندمج في صفوف المجاهدين، فكان انضمامهم بمثابة الحافز الذي دفع الإمام أحمد لشن هجماته على قلب الهضبة الحبشية(80).

وخلال ذلك الصراع ظهر أثر الدين واضحًا من خلال مشاركة رجال الدين في الحرب، ففي جيوش الأمام أحمد تقدمت الجيوش الرايات التي تحمل آيات الجهاد، وكذلك الكثير من الأدعية وأبيات الشعر التي تحض على الجهاد(81)، كما لعب رجال الدين المشاركون في الجهاد دور بارز في تحميس الجنود وتحريضهم على القتال، فكانوا إذا قرأوا في الصلاة لا يقرأون سوى آيات الحرب والقتال، وما نزل في فضل المجاهدين، وإذا خطبوا في الجنود يفعلون كذلك، ولكنَّ الفقهاء والعلماء لم يكتفوا بذلك وإنما شاركوا في المعارك بأنفسهم(82). فضلًا عن ذلك توافدت على الإمام الكثير من القبائل الصومالية(83) للمشاركة في جهاد مملكة الحبشة بعد أن أرسل إليهم ورغبهم في الجهاد(84)، كما تلقي الإمام الكثير من المتطوعين الذين وصلوا إليه للمشاركة في الجهاد ضد القوي الصليبية واستشهد عدد كبير منهم(85).

كان أثر الدين حاضرًا وبقوة كذلك في الجانب الآخر ممثلًا في رجال الدين الذين شاركوا في حروب الحبشة، فقيادة الجيوش أوكلت إلى كبار رجال الدين، وبلغ الأمر مداه عندما ظهر مطران كنيسة الحبشة نفسه في ساحة المعركة عند مدينة وج(86)، وتوالى بعدها ظهور رجال الدين على رأس جيوش مملكة الحبشة النصرانية(87)، وكذلك مقاتلين في صفوف الجند(88). أما على الصعيد الخارجي كان رهبان دبرا بيزن أول من استقبل البعثة الاستطلاعية التي أرسلها نائب ملك البرتغال 927هـ/1520م، ومن هناك انطلقوا نحو العاصمة(89).

وقد أمعن بعدها لبنا دنجل في استخدام الدين كوسيلة للحصول على المعونة الأوروبية، فلم يكتف بالاعتراف بتبعية كنيسة الحبشة لكنيسة روما، وإنما قدم دلائل ملموسة لتلك التبعية حين عين الطبيب البرتغالي جون برمودز(John-Bermudez) بطريركًا كاثوليكيًا للحبشة، وهو ما كانت تسعي إليه الباباوية منذ فترة طويلة، ولم يقف ملك الحبشة عند هذا الحد وإنما احتفل أيضًا بعيد الصليب عام 945هـ/1538م وفقًا للكنيسة الرومانية، وبعث بسفارة إلى لشبونة للحصول على المعونة التي لم تصل إلا بعد وفاته(90).

وإذا كان الإمام أحمد قد رفع رايات تحمل شعارات دينية خلال حروبه، فقد فعل ملوك الحبشة نفس الشيء حين رفعوا الصلبان، وهو ما ذكره ملوك الحبشة في رسائلهم إلى باباوات روما، من أنهم لا يخرجون للحرب إلا وهم محاطون بالصلبان لإثارة الحمية في نفوس المقاتلين، وذكر المقريزي ذلك عن الملك إسحاق بن داود الذي لم يكن يخرج للحرب إلا وهو يحمل صليبًا ضخمًا من ياقوت أحمر(91).

وكان للصراع الذي وقع في الحبشة بين مملكة الحبشة النصرانية وسلطنات الطراز الإسلامية أبعاده الدولية، وظهر ذلك جليًا في حرب الإمام أحمد بن إبراهيم والملك لبنا دنجل، ففي الوقت الذى ساندت فيه الدولة العثمانية الإمام أحمد في جهاده ضد مملكة الحبشة نجد البرتغال تساند وبقوة أكبر ملك الحبشة، وبحسب أراء بعض الباحثين كانت الأسباب التي دفعت الطرفين للتدخل في الصراع واحدة، هي اعتبار تلك الحرب حرب دينية مقدسة(92).

كما كان للتدخل الدولي أثر كبير في تلك الحرب؛ إذ طلب الإمام أحمد المساعدة من حاكم زبيد العثماني، فأرسل إليه تسعمائة من حملة البنادق استطاع بمساعدتهم أن ينتصر على القوة البرتغالية التي كانت قد وصلت إلى الحبشة لمساندة ملكها(93)، وقد رد الإمام تلك المعونة في أعقاب ذلك النصر الكبير الذي حققه ظنًا منه أنه بهذا النصر قد أنهى تلك الحرب لصالحه فانسحب من ميدان المعركة وعاد إلى دمبيا التي اتخذها مقرًا دائمًا له شمال بحيرة تانا(94).

وعلى الجانب الآخر كانت المساعدات التي سبق وطلبتها الملكة هيلانة وحفيدها لبنا دجل من بعدها قد وصلت إلى الحبشة بعد وفاة الملك لبنا دنجل بقليل(95)، فاتصلوا بابنه جلاوديوس ونسقوا معه، ورغم تعرضهم لهزيمة كبيرة على أيدي الأمام أحمد والعثمانيين إلا أنهم تداركوا الأمر وتمكنوا من تحقيق انتصار كبير على الإمام أحمد الذي استشهد خلال تلك المعركة(96).

وقد كان موت الأمام أحمد عام 949هـ/1543م بمثابة النهاية لحلقة من حلقات الجهاد الإسلامي ضد القوي الصليبية؛ فبمجرد موته انهزمت جيوشه وتفرق جنده، بعد أن تمكن الإمبراطور جلاوديوس من ضرب التحالفات التي أقامها الأمام أحمد والتي دفعت الكثير من القبائل الجنوبية للانضمام إلى حركة الجهاد(97)، وبذلك انهارت حركة الجهاد التي استمرت طيلة ثلاثة قرون منذ أن تولى ملوك الأسرة السليمانية الحكم في الحبشة عام 669هـ/1270م(98).

ويرى الباحث أن تدخل القوى الدولية على هذا النحو وإن كان فيه شق ديني وهو نصرة إخوان العقيدة إلا أن الأسباب الاقتصادية كانت حاضرة في ذلك الصراع وبقوة، فالدولة العثمانية حديثة العهد بالبحر الأحمر أرادت الحفاظ على البحر الأحمر كبحيرة إسلامية كما كان حاله في العصر المملوكي، ومن ثَّم الحفاظ على ما بقي في ذلك البحر من التجارة الداخلية والتصدي للهجمات البرتغالية المتوالية على القواعد التجارية داخل البحر الأحمر، ولذا فقد وجدت في الإمام أحمد الذي قام من فوره موحدًا للقوى الإسلامية في سواحل البحر الأحمر الجنوبية خير معين لتحقيق تلك الأهداف.

وأما بالنسبة للبرتغاليين فالأمر كان بمثابة الفرصة الأخيرة للضغط على القوى الإسلامية ووقف المد الإسلامي في قلب أوروبا، ذلك بالبحث عن الملك الأسطوري المعروف ببرستر جون، ذلك الرجل الذين كرس ملوكهم جهودهم في البحث عنه للتحالف معه ضد المسلمين، غير أن مصادر التجارة التي بسط البرتغاليون نفوذهم عليها في جنوب شرق آسيا غيّرت قواعد الحرب ودفعت البرتغاليين إلى محاولة إحكام سيطرتهم تمامًا على تجارة المحيط الهندي، فاندفعوا نحو القواعد التجارية الإسلامية فدمروها أو بسطوا نفوذهم عليها، ولم تبق سوى قواعد البحر الأحمر الداخلية، فلم يجدوا خيرًا من ملك الحبشة ليعينهم عليها، فقدموا له يد العون للقضاء تمامًا على أية نفوذ إسلامي في سواحل البحر الأحمر الجنوبية.

الخاتمة

وختامًا يمكننا القول إن هذه الحرب لم تكن إلا حلقة من حلقات الحروب الصليبية. تلك الحروب التي كانت سمة مميزة من سمات تاريخ العصور الوسطى. فقد بداها ملوك الحبشة مرتكزة على نفس **الأسباب** التي توحى بأنها حرب ما قامت إلا من أجل الدين. ومن ثّم نجدها تحمل نفس الشعارات وكان أهمها الصليب. كما كانت لها نفس **الأهداف**، فهى وإن كانت لا تخلو من العامل الدينى إلا أنها كانت محاولة للسيطرة على الاقتصاد أو على الأقل الاستئثار بجانب منه. وفي النهاية نجد أن الحرب تمحورت حول الأهداف الاقتصادية فحسب، وقد نجحوا في تحقيق جانب كبير منها بفضل المساعدات الأوروبية، وبخاصة بعد أن نجح البرتغاليون من الاتصال المباشر بملوك الحبشة منذ النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

ويتبين لنا من هذه **الورقة** أن الحرب الطويلة التي أمتدت طيلة ثلاثة قرون لم تنته بانتصار حاسم لأحد الطرفين على الآخر، وإنما كانت الحرب سجالًا بين الجانبين، وقد مني الطرفان فيها

بخسائر فادحة في الأرواح هذا فضلًا عن الخسائر المادية. أضف إلى ذلك التأثير الكبير لتلك الحرب على المجتمعين. فقد أدت الحرب الطويلة إلى فراغ كبير استغلته القبائل الوثنية التي تعاظم دورها مع نهاية تلك الحرب، فهاجموا المدن الكبيرة، وبسطوا سيطرتهم عليها، فأصبحوا قوة يعتد بها في المنطقة. وما من دليل على ذلك أوضح من أن أمراء هرر قد جنحوا للسلم فعقدوا مع تلك القبائل معاهدات سلام لضمان سلامة أراضيهم وأسواقهم وطرق تجارتهم.

توضح **الورقة** كيف نجح الإمام أحمد في نشر الدعوة الإسلامية، فمن هرر أرسل الإمام الرسائل والدعاة لينتشروا بين قبائل الصومال والدناكل والأعفار لنشر مبادئ الإسلام بينهم، ثم جاءت تحركات تلك القبائل واحتكاكها بالمسلمين في جنوبى وجنوب شرقى هضبة الحبشة ليكتمل انتشار الإسلام فيما بينها.

أبرزت الورقة كيف تبنت تلك القبائل الإسلام جيلًا بعد جيل، فتبناه البجة ثم الأعفار فالصومال. وجميعها قبائل بدوية كانت في تحرك مستمر، حتى وصل الإسلام إلى الجالا الذين نجحوا في الوصول بالإسلام إلى قلب هضبة الحبشة؛ حيث كانت تلك القبائل هى عماد جيوش الإمام أحمد في حركة فتوحاته في قلب هضبة الحبشة، ولم انهارت إمامة الحبشة كانت تلك القبائل قد انتقلت من مواطنها الأصلية في جنوبى شرق هضبة الحبشة إلى قلب الهضبة، واستقروا فيها، مما أعطى دفعة جديد لانتشار الإسلام في قلب هضبة الحبشة نفسها.

أكدت **الورقة** على الدور الكبير الذى لعبته كل من مصر واليمن في مساندة مسلمى الزيلع في صراعهم ضد نصارى الحبشة، وذلك إدراكًا منهم من أن سلطنات الطراز الإسلامية كانت صّمام الأمان ضد المشروعات الصليبية التي يرمى إليها ملوك الحبشة، ويحاولون تنفيذها بالتعاون مع القوي الأوروبية.

بينت **الورقة** أنه رغم أرتباط دولة الإمام أحمد بشخصه، وأنحلال تلك الدولة في أعقاب استشهاده 950هـ/1543ن، وانحصارها في إقليم هرر بل في مدينة هرر فقط، إلا أن هذا لا ينسحب على دعوة الإسلام التي وصلت إلى قلب هضبة الحبشة، وبقى أثرها قائمًا حتى بعد انحلال إمامة الحبشة، بل وازدادت قوة الإسلام مع استقرار قبائل الصومال في أجزاء من هضبة الحبشة، وكذلك بانشغال رجال الدين النصارى بصراعهم مع المنصرين اليسوعيين، وهو أمر أدى لصراع بين الطرفين أنتهى بطرد البرتغاليين من الأراضي الحبشية.

أظهرت الورقة صورة حيه للجهاد الإسلامي في شرقي أفريقيا، وهو ميدان جديد من ميادين الحروب الصليبية، ولكنّ ما شهده من معارك لا تقل في ضراوتها عن مثيلتها في الشمال سواء في بلاد الشام أم في الأندلس. كما أن ما حققه إخواننا في تلكم الميدان من انتصارات وما قدمه من أبطال لا يقل بحال من الأحوال عما تحقق في غيره من الميادين.

توصية

إن كان لنا من توصية نخرج بها من هذه الورقة، فهى ضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ تلك المنطقة، ومحاولة جمع المصادر الأصلية لدراستها، وذلك من البيئة نفسها، المخطوطات والروايات الشفاهية، وعدم الاكتفاء بما كتبه الغرب الأوروبي عن تاريخ تلك المنطقة؛ إذ يأتى في معظمه منحازًا ، إما لمن كتبوه، وإما لإخوانهم في العقيدة.

خريطة(1) الأراضى الإسلامية في شرقي أفريقيا

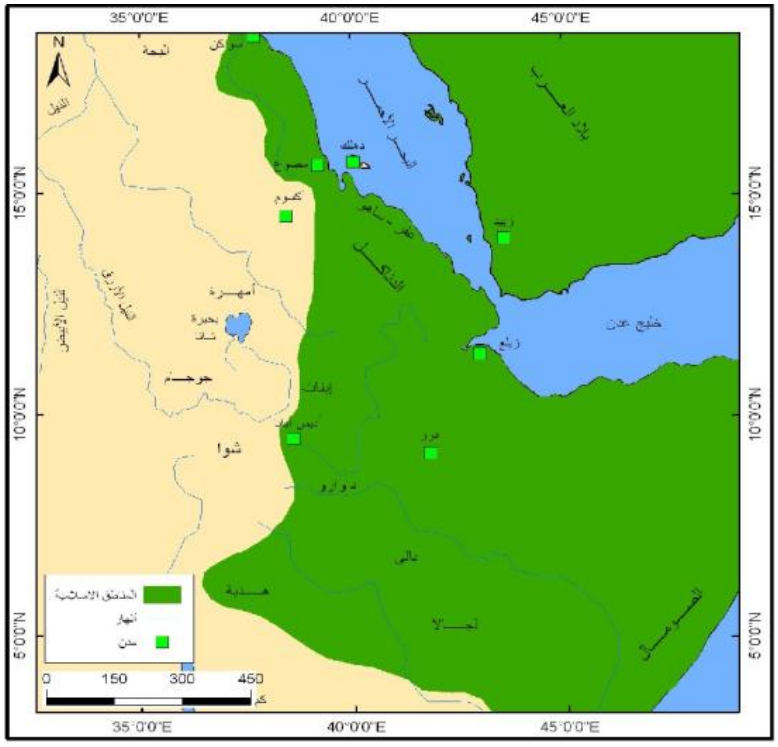

خريطة (2) توسعات مملكة الحبشة النصرانية حتى

منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

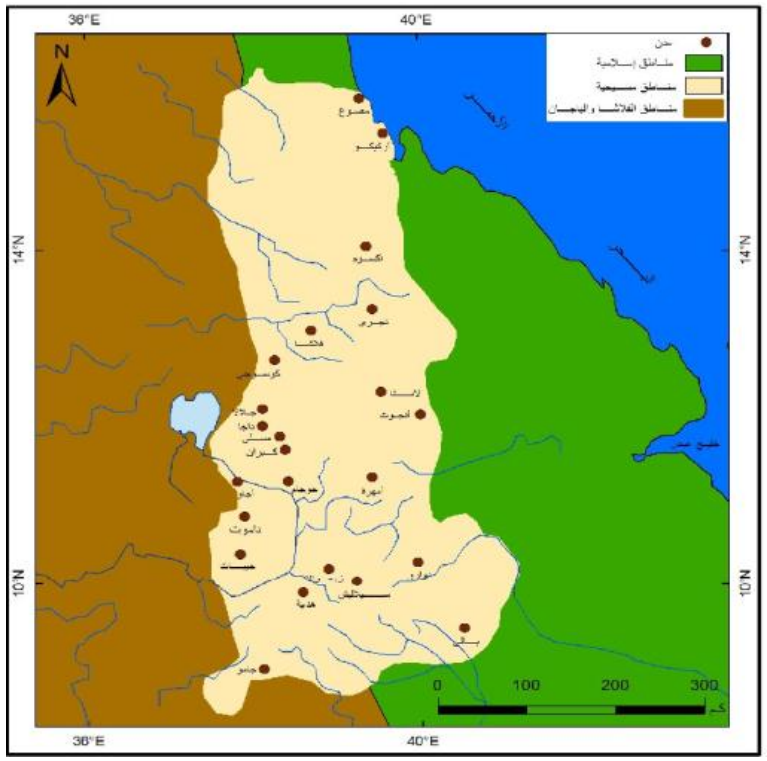

من عمل الباحث بتصريف عن:

(1) Lipsky, G. A., Blanchard, W., Ethiopia its People its Society its Culture, *(the American University, Hraf press, 1962, p. 7.*

Tamrat, Taddesse: Church and State in Ethiopia, p. 133. (2)

خريطة (3) خطوط سير جيوش الإمام أحمد في فتوح الحبشة

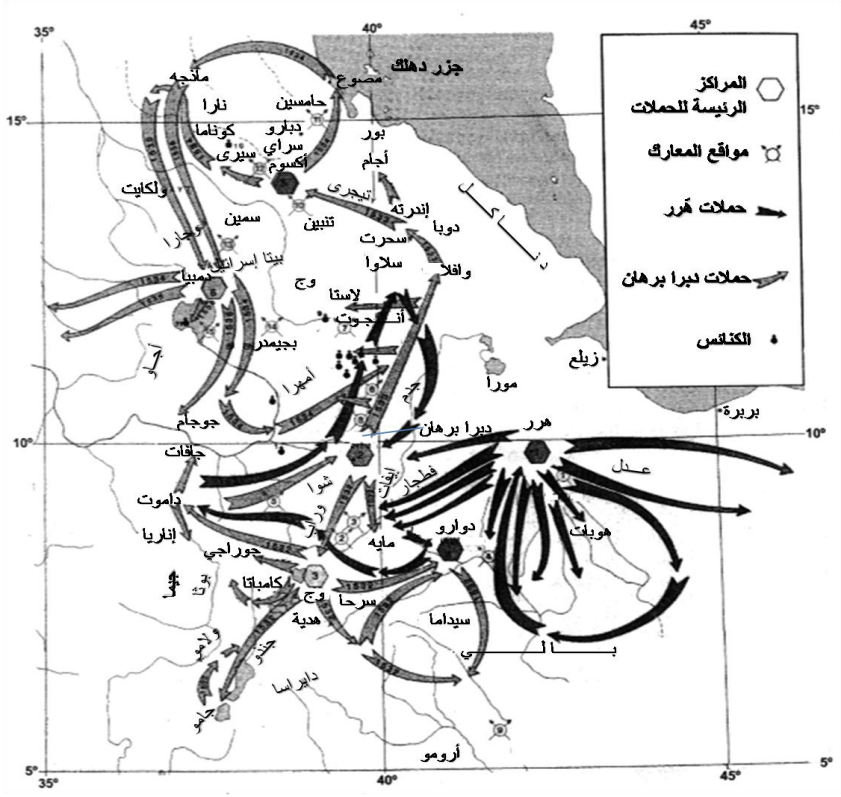

خريطة (4) التوزيع الجغرافي للقبائل الصومالية

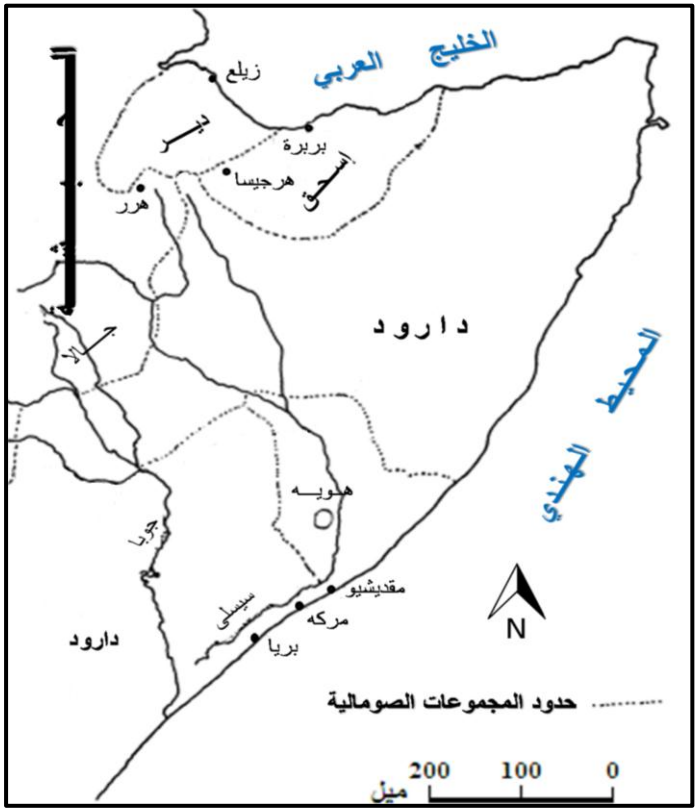

المشاركة في حروب الإمام أحمد بن إبراهيم

من عمل الباحث بتصريف عن:

(3) Chekroun, Amélie: Le Futūḥal-Ḥabaša, Op, Cit., p. 177.

(4) Lewis I. M.: The Somali Conquest of the Horn of Africa, *The Journal of African History, Vol. 1, No. 2 (1960)*, p. 229.

الهوامش

(1) Wagner Ewald, *The Genealogy of the later Walashma' Sultans of Adal and Harar*, Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 141, No. 2 (1991), pp. 376.

(2) المقريزى، الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام، (القاهرة، المكتبة الأزهرية، 1958)، 12-13.

(3) Tamrat, Taddesse: *Church and State in Ethiopia 1270-1527*, (London: Oxford University Press, 1972), p.133.

(4) غيث، فتحي، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، (القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت)، ص131؛ حمدون، عبد العزيز عبد الغنى، أهل بلال جذور الإسلام التاريخية في الحبشة، (الخرطوم: الدار السودانية للكتب، 1415هـ/1995م)، ص190، 198

(5) العمرى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق كامل سليمان الجبورى، (لبنان: دار الكتب العلمية، 2010)، ص34.

(6) ذَكَر بفتح الدال المهملة والكاف، بلدة إلى الجنوب الشرقي من مدينة هرر. الزبيدي، قرة العيون، ص388.

(7) عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1405هـ/1985م)، ص18-20.

(8) Littman, Enno, *Adel Encyclopedia of Islam*, Vol. I, p. 176.

(9) عبد الحليم، محمد رجب، العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1419هـ/1999م)، ص159-161.

(10) عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص122.

(11) Ullendorff, Edward, *The Ethiopians an introduction to country and people*, (London: Oxford University Press, 1965), p. 69.

(12) المقريزي، الإلمام، ص 16.

(13) رياض، زاهر، الإسلام في أثيوبيا، (القاهرة: دار المعرفة، 1964)، ص89.

(14) Lewis I. M., *The Somali Conquest of the Horn of Africa*, The Journal of African History, Vol. 1, No. 2 (1960), p. 222.

(15) Basset, Renè, *Etudes sur l'histoire d'Ethiopie*, (Paris: Imprimerie nationale, 1882), p. 242.

(16) Braukämper, Ulrich, *"Islamic Principalities in Southeast Ethiopia between the Thirteenth and Sixteenth Centuries (part II)"*, Ethiopianist Notes, Vol. 1, No. 2 (Fall 1977), p. 22.

(17) المقريزي، الإلمام، ص14.

(18) المقريزي، الإلمام، ص16.

(19) المقريزى، نفس المصدر، ص9-10.

(20) رجب عبد الحليم، العروبة والإسلام، ص164.

(21) Brooks, Michael, E., *Prester John: A Reexamination and Compendium of the Mythical Figure Who Helped Spark European Expansion*, Submitted as partial fulfillment of the requirements for the Doctor of Philosophy degree in History, (University of Toledo, 2009), p.71.

انظر أيضًا: عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص122؛ رياض، زاهر، تاريخ إثيوبيا، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1966)، ص81. ويبدو أن هذه العقوبة التي طبقها زرء يعقوب ضد المسلمين في هدية صارت قاعدة حتى أننا نجد ملك الحبشة يعقوب الذي حكم في الفترة(1006–1012هـ/1597–1603م) يفرض نفس العقوبة على سلطنة هدية إلا أن أميرة هدية ماتت قبل أن تصل إلى عاصمة مملكة الحبشة النصرانية. انظر:

Conti, Rossini, *"Historia Regis Sarsa Dengel (Malak Sagad)"*, (Roma, 1899), pp. 46-49.

(22) Jones, A. H. M & Monroe, Elizabeth, *A history of Abyssinia*, (London: Oxford University Press, 1935, p. 56.

(23) Perruchon, Jules, Les *Chroniques de Zar'a Yâ eqôb et de Ba'eda Mârâym rois d'Ethiopie de 1434 à 1478*, (Paris: Emile Bouillon, Editeur, par, 1ère, partie, ,1893), p. 203.

(24) عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص123؛ العروبة والإسلام، ص168.

(25) أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وأخرون، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1971)، ص136.

(26) Perruchon, Jules: *Les Chroniques de Zar'a Yâ eqôb*, p. 65; Basset, Renè., *Etudes sur l'histoire d'Ethiopie*, pp. 242-243. **See also**: Martin, E. G., *Mahdism and holy Wars in Ethiopia before 1600"*, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 4, 1973-1974), p. 110.

وخلال تلك الأحداث كان هناك رسولًا من قبل السلطان جقمق(842–856هـ/1438–1352م) يزور الحبشة فعوقه ملك الحبشة، وعندما ظفر بالسلطان شهاب الدين هدده وبعثه إلى حيث المكان الذي قتل فيه لينظر إلى جثمانه؛ ليكون ذلك أنكى للمسلمين. انظر: السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت)، ص71–72.

(27) Brooks, Michael, E., Prester John, Op. Cit., p.70, 73; **See also**; Markham, Clements R., *"On the Early Portuguese Expeditions to Abyssinia"*, (Proceedings of the Royal Geographical Society of London, Vol. 12, No. 1, 1867 – 1868), pp. 11-19.

(28) عبد الحليم، محمد رجب، العروبة والإسلام، ص166–167.

(29) Stuart, Munro, *Ethiopia: The unknown Land a Cultural and Historical Guide*, (New York: I. B. Tauris& Co. Ltd, 2008), p, 25.

انظر الخريطة شكل(2)، توضح توسع وحدود مملكة الحبشة في عصر الأسرة السليمانية في عهد الملكة زرء يعقوب وولده بئيد مريام، وذلك بعد سلسلة الحروب الطويلة التي خاضها ملوك الحبشة بهدف السيطرة على طرق التجارة بين الحبشة والعالم الخارجي.

(30) Ullendorff, Edward, *the Ethiopians*, p. 69.

(31) Budge& Litt, D. M. A, A *history of Ethiopia, Nubian & Abyssinia*, (Methuen & Co. LTD, London, 1928), p. 312.

(32) رياض، زاهر، الإسلام في إثيوبيا، ص138؛ أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ص136.

(33) Munro, Stuart, *The Quest for the Ark of the Covenant: The true history of Moses*, (London: Published by I.B Tauris& Co. Ltd, 2005), p. 189.

(34) Budge& Litt, D. M. A, *A history of Ethiopia*, pp.304, 312.

(35) Ullendorff, Edward, *the Ethiopians*, p. 69.

(36) بشير، سيف الإسلام بدوي، "البلاط الإثيوبي والزعماء المسلمون بالحبشة حتى عام 1525"، مجلة دراسات أفريقيا، العدد23 (الخرطوم: جامعة أفريقيا العالمية، 1421هـ/2000م)، ص195.

(37) Budge& Litt, D. M. A, *A history of Ethiopia*, p. 311.

(38) Caquot, André, "*Apercu Préliminaire sur le Mashafa Tēfut de Gretchen Amba*", (Annales d'Ethiopie, Vol. 1, 1955), p. 209.

(39) Budge& Litt, D. M. A, *A history of Ethiopia*, p. 311.

(40) عاشور، سعيد عبد الفتاح، "بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى"، (المجلة التاريخية المصرية، مج4، ع2 كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1952)، ص37.

(41) Budge& Litt, D. M. A, *A history of Ethiopia*, p. 319.

(42) Perruchon, Jules, *Les Chroniques de Zar'a Yâ eqôb*, pp. 155-156, 159, 169.

(43) سيف الإسلام بدوي بشير، البلاط الأثيوبي، ص195. راجع أيضًا:

Budge& Litt, D. M. A, *A history of Ethiopia*, p. 319.

(44) عبد الحليم، محمد رجب، العروبة والإسلام، ص143–144؛ بشير، سيف الإسلام بدوي، البلاط الأثيوبي، ص197–198. انظر أيضًا:

Oliver, Roland **(**edited**),** *The Cambridge history of Africa*, (London: Printing Six, Vol.3, Cambridge University Press, 2008), p. 166.

(45) عرب فقيه، فتوح الحبشة المسمي بهجة الزمان، تحقيق محمد شلتوت (د.م. نشره رينيه باسيه، 1394هـ/1974م)، ص6، 9–13،17–18.

(46) هي إحدى سلطنات الطراز الإسلامية الكبرى التي تعرضت لكثير من الاعتداءات من قبل ملوك الحبشة، كما عينوا عليها حكامًا من قبلهم، أو ثبتوا حكامها الذين قبلوا التحول إلى النصرانية. راجع في ذلك:

Chekroun, Amélie, *Le Futūḥal-Ḥabaša: Écriture de l'histoire, guerre et société dans le Bar Sa'ad ad-dīn (Éthiopie, XVI^e siècle)*, Thèse de doctorat d'histoire sous la direction du professeur Bertrand Hirsch Présentée et soutenue publiquement à Paris, 2013, p 235.

(47) Chekroun, Amélie, *Le Futūḥal-Ḥabaša*, pp. 324-325.

(48) عرب فقيه، فتوح الحبشة، ص38–40، 43–44.

(49) عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص123.

(50) قاسم، عبده قاسم، علاقة مصر بالحبشة في عصر سلاطين المماليك 1250–1517، ضمن كتاب العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، (القاهرة: دار الثقافة العربية، 1407هـ/1987م)، ص58.

(51) عابدين، عبد المجيد، بين الحبشة والعرب، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1974م)، ص171، عاشور، سعيد، بعض أضواء جديدة على العلاقات، ص16.

(52) العمرى، مصدر سابق، ج4، ص62. انظر أيضاً: محمد أمين: علماء زيلع ودورهم في الحياة الثقافية في مصر العصور الواسطى، الندوة الدولية للقرن الأفريقى، 1– 7 يناير، معهد الدراسات الأفريقية، (القاهرة: 1985م)، ج2، ص838.

(53) Trimingham, S. J.: Islam in Ethiopia, Frank Cass & Co. LTD, 1963, p.72.

انظر أيضا: زكى، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، (القاهرة: مطبعة يوسف، 1968م)، ص45؛ محمد حسين معلم، السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقى، (الخرطوم: أعمال المؤتمر الدولى الإسلام في أفريقيا، 26–2006/11/27م)، ص385.

(54) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجز الرابع عشر، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2008)، ص81.

(55) المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الرابع، نشره محمد مصطفي زيادة، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية، 1979)، ص492، الإلمام، ص18، ابن تغرى بردى، المصدر السابق ، ج14، ص81-84.

(56) المقريزى: السلوك، ج4، ص649، ابن تغرى بردى: نفس المصدر والجزء، ص260؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، الجزء الثالث، تحقيق حسن حبشى، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1970م)، ص203-205؛ الشامى، جمال الدين، المنهل في تاريخ وأخبار العفر والدناكل، (القاهرة: 1418هـ/1997م، ص202.

(57) السخاوى، التبر المسبوك في ذيل السلوك، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت)، ص72. **انظر أيضا:** موير، وليم، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، (القاهرة: مطبعة دار المعارف، 1340هـ/1924م)، ص 74-85.

(58) دراج، أحمد، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، (القاهرة: دار الفكر العربى، 1961م)، ص65.

(59) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مركز تحقيق التراث، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثالثة، 1428هـ/2007م)، م31، ص344-348.

(60) مصطفي، نادية محمود (مشرفاً)، العصر المملوكى من تصفية الوجود الصليبى إلى بداية الهجمة الأوربية الثانية642-923هـ/1258-1517، (في العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي)، المعهد العالمى للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م، ج10، ص46، كرم الصاوى، ممالك النوبة في العصر المملوكى اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادى النيل(648-923هـ/1250-1517م)، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2006م)، ص72.

(61) قاسم، عبده قاسم، مرجع سابق، ص66.

(62) عاشور، سعيد عبد الفتاح، بعض اضواء جديدة، ص40.

(63) معلم، محمد حسين، مرجع سابق، ص374- 375.

(64) سليمان عطيه سليمان، سياسة المماليك في البحر الاحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى1250-1438، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1959م، ص222-223.

(65) معلم، محمد حسين، مرجع سابق، ص373.

(66) قاسم، عبده قاسم، مرجع سابق، ص66.

(67) المقريزى، الإلمام، ص12-13.

(68) النقيرة، محمد عبد الله، انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له، (دار المريخ، الرياض، 1402هـ/1982م)، ص222.

(69) العينى، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط2، 2010)، ج2، ص252.

(70) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، الجزء الأول، تحقيق مراد كامل، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961)، ص117.

(71) المصدر نفسه، ص118.

(72) غيث، فتحى، مرجع سابق، ص156؛ حمدون، عبد العزيز عبد الغنى، مرجع سابق، ص236.

(73) Oliver Roland& Atmore Anthony, *Medieval Africa 1250-1800*, (London: University Cambridge Press, United Kingdom, 2001), p. 53.

انظر أيضًا: عبد الحليم، رجب محمد، العروبة والإسلام، ص147–148.

(74) Braukämper, Ulrich, *Islamic Principalities in Southeast Ethiopia between the Thirteenth and Sixteenth Centuries (part II)"*, Ethiopianist Notes, Vol. 1, No. 2 (Fall 1977), p. 8.

(75) عرب فقيه، فتوح الحبشة، ص9–12. ويلاحظ أنه منذ أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي اشتدت الحروب بين مملكة الحبشة النصرانية، وسلطنات الظراز الإسلامية، وقد أدى ذلك الصراع الذى بلغ مداه إلى تغيرات سياسية واجتماعية خاصة داخل سلطنة عدل التي كانت على رأس القوى الإسلامية في ذلك الحين؛ إذ انقسم سكانها إلى جيلين، الأول قديم محافظ يقوده سلاطين تقليديون يستمدون سلطانهم من ملك وراثى، وتساندهم طبقة ارستقراطية تهتم فقط بالجانب الاقتصادي الذى كانت عماده التجارة. وقد دفع هذا أولئك السلاطين إلى انتهاج سياسة مبنية على السلم والتعاون مع مملكة الحبشة، وأما الجيل الثانى أو قل الجديد من القواد فقد كان أكثر تحمسًا للجهاد ونشر مبادئ الإسلام وثقافته يساندهم في ذلك معظم العلماء والفقهاء فأتاح لهم ذلك حاضنة شعبية كبيرة، ومن ثَّم تجمعت في أيديهم معظم السلطات السياسية والحربية. انظر: حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص452؛ السيد أحمد جمعالة، فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم (جراى) 1527–1543"، مجلة المؤرخ العربى، العددان42،41، (الأردن: 1410هـ/1990م)، ص54.

للمزيد من المعلومات حول تلك الثنائية الحاكمة في بلاد الزيلع الإسلامية راجع:

Wagner Ewald, *Op. Cit., pp. 376-381.*

(76) عرب فقيه، مصدر سابق، ص13.

(77) عرب فقيه، نفس المصدر، ص16. للمزيد من التفاصيل راجع:

Amélie Chekroun, *Le Futūḥal-Ḥabaša*, pp. 214-245, 311-326.

(78) انظر خرائطة(3) التي توضح خطوط سير القوات الإسلامية في فتوح الحبشة.

(79) Whiteway, R. S., "*The Portuguese Expedition to Abyssinia in (1441-1443)*", (London: second series, the Hakluyt Society, 1961), pp. xxiii-xxiv; **See also**: Vân, David Vô, *"Grañ à Hayq: un épisode de la conquête de l'Amhara dans la mémoire du Wällo"*, (Annales d;Ethiopie, Vol. 18, 2002), pp. 245-251.

(80) Lewis I. M., *Op. Cit., pp. 222-223.*

ولعظم مشاركة القبائل الصومالية في حركة جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم ضد مملكة الحبشة عرَّف البعض تلك الحركة بالفتح أو الغزو الصومالى للحبشة، وكانت أهم القبائل الصومالية التي شاركت في حروب الحبشة هي، مريحان(Marrehan) وداورد(Daroda–Harti)، إسحاق(Isaq)، هويه(Hawye)، وجيري(Geri)، دير(Dir)، هذا فضلاً الجالا(Galla). انظر خريطة(3، 4) الأولى توضح خطوط سير جيوش الإمام أحمد في مختلف أرجاء الحبشة، والثانية لتوزيع القبائل الصومالية المشاركة في تلك الحروب.

Ibid, pp. 213-214, 223,229..

(81) وأشار عرب فقيه إلى أن راية الإمام أحمد كان مكتوب عليها بيتين كان الإمام علي رضى الله عنه يكتبهما على رايته وهما:

الحرب إن باشرتها..... فلا يكن منك الفشل وأصبر على أهوالها..... فلا موت إلا بالأجل

(82) عرب فقيه، مصدر سابق، ص41–43؛ انظر أيضًا: عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص240؛ العروبة والإسلام، ص180–181.

(83) شاركت القبائل الصومالية بفاعلية كبيرة في تلك الحرب، ويدل على ذلك الكثير من الملاحم التي كتبها الصوماليون يمتدحون فيها أبطالهم في حروب الحبشة، وتكمن أهمية تلك الملاحم في كونها تتناول قصص لأفراد عاديين من عامة الشعب أهملتهم المصادر، ولكن ذاكرت الشعوب تأبى إلا أن تخلد ذكراهم، وهذا يؤكد على أهمية التاريخ الشفهي، والذكرة الشعبية عند كتابة التاريخ الأفريقي. ومن نماذج تلك الملاحم ما كتبه العفر. انظر في ذلك:

Savard Georges C.: "*War Chants in Praise of Ancient Afar Heroes*", *Journal of Ethiopian Studies*, Vol. 3, No. 1 (January 1965), pp. 105-108; Martin, B. G. "*Arab Migrations to East Africa in Medieval Times*", *The International Journal of African Historical Studies* , Vol. 7, No. 3 (1974), pp. 374-375.

كانت أهم القبائل التي شاركت في حركة الجهاد تحت لواء الإمام أحمد بن إبراهيم هي جري(Geri)، ومريحان(Marrehan)، ودارود(Darod)، وإسحاق(Isaq)، والجالا(Galla)، والصومال(Somali)، فكانت حركة جهاد الإمام أحمد من المناسبات القليلة في تاريخ المنطقة التي جمعت تلك القبائل المتنافسة ولو لفترة قصيرة تحت راية واحدة. انظر:

Liwes I. M., *The Somali Conquest of the Horn of Africa, The Journal of African History, Vol*. 1, No. 2 (1960), pp. 123-124.

(84) عرب فقيه، فتوح الحبشة، ص35–37.

(85) Martin, E. G., *Mahdism and holy Wars in Ethiopia before 1600*, pp. 112-113; Budge& Litt, D. M. A, *A history of Ethiopia*, p, 332.

(86) مدينة وج تقع جنوب مقاطعة شوا الغربية وعندها دارت أحد أهم معارك الأمام أحمد بن إبراهيم ضد الملك لبنا دنجل، ص290.

(87) راجع في ذلك عرب فقيه، مصدر سابق، ص31، 38–40؛ عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص240؛ العروبة والإسلام، ص170، 177–178، 186؛ على إسماعيل محمد، الصومال والصراع الدولي والإقليمي في القرن الأفريقي وكفاح الشعب الصومالي، (صنعاء: دار الكتب اليمنية، 2010)، ص111.

(88) عبد الحليم، محمد رجب، العروبة والإسلام، ص114.

(89) Markham, C. R., "*the Portuguese Expeditions to Abyssinia in the Fifteenth, Sixteenth, and Seventeenth Centuries*", (Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol. 38 (1868), p. 3.

(90) عرب فقيه، فتوح الحبشة، ص25. ورغم تعيين جون برمودز في هذا المنصب، وتأكيد مطران الحبشة على تعينه كوريث له في منصبه إلا أنه أبي إلا أن يذهب إلى روما لتأكيد تعينه في هذا المنصب من بطريرك كنيسة روما بول الثالث، كما مكث في أوروبا لفترة طويلة(934–945هـ/1527–1538م) للحصول على مساعدة الغرب لملك الحبشة. انظر:

Markham, C. R., "*The Portuguese Expeditions to Abyssinia*", p.4; **See also**: Chris Prouty & Eugene Rosenfeld, Historical Dictionary of Ethiopia and Eritrea, (Lanham& London: Second Edition, Scarecow Press, 1994) p. 92.

(91) المقريزي، الإلمام، ص4؛ انظر أيضًا:

Jones& Monroe *A history of Abyssinia*, (London: Oxford University Press, 1935, p59.

(92) Abbink, Jon, *"Muslim Monasteries"*, p. 114; See also: Markham, C. R., "*The Portuguese Expeditions to Abyssinia*", pp. 1-12.

(93) عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص207.

(94) عبد الحليم، محمد رجب، العروبة والإسلام، ص217.

(95) Alvarez, Francisco, *The Prester John of the Indies*, translated by Beckingham, C. F and Huntingford, G. W. B, Vol. I, (London: Cambridge, Hakluyt Society, published For, 1961), p. 306.

(96) Martin, E. G., Op. Cit., p. 112.

(97) Braukämper, Ulrich, *"Islamic Principalities in Southeast Ethiopia*", p. 9.

(98) عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات السياسية، ص210. للمزيد من التفاصيل حول جهاد الأمام أحمد ضد مملكة الحبشة النصرانية انظر:

Braukämper Ulrich, *A history of the Hadiyya in Southern Ethiopia*, translated by Geraldine Krause, (Germany: Harrassowitz Verlag & Wiesbaden, 2012), pp. 99-114.